على أي من الجبارين التنازل عن مواقعه لصالح الفريق الاخر ، فالوفاق هو مصلحة سوفييتية بقدر ما هو مصلحة امريكية . والحديث عن القمح الامريكي لا بد ان يستكمل ليصل الى غاز سيبيريا وحاجة امريكا له في ظل حاجتها المتزايدة لمصادر الطاقة .

ان سياسة الوفاق الدولي ، والتي تتم من موقع متوازن ، تمنح القدرة نفسها من الضغط لكلا الطرفين ، وكذلك القدرة نفسها على الصمود. هذا يعني ان من المستبعد مثلا ان يتنازل الاتحاد السوفييتي طواعية او ببساطة عن أي من مواقع نفوذه لصالح سياسة الوفاق الدولي مع امريكا لانه بهذا يعرض بعض مقومات أمنه المباشر للخلل. لان أي تنازل يعني تلقائيا اخلالا بميزان القوى بين الطرفين بحيث لا تعود العلاقة علاقة وفاق وتوازن بل تصبح العلاقة علاقة املاء شروط بين قوي وضعيف .

واذا كانت امريكا تدعم اسرائيل لمصلحة امريكية ، فان السوفييت لا بد وان يدعموا حلفاءهم العرب سواء من موقف مبدئي او انطلاقا من حرصهم على مصالحهم الحيوية . لكن توقعنا للدعم السوفييتي يجب ان يبقى في اطار تقديرنا لكل الظروف الدولية التي تحيط به والتزاماته كدولة كبرى . فهو لم يتخذ مثلا موقفا مبدئيا معلقا من مسألة وجود او عدم وجود اسرائيل كما انه لم يعلن الحرب على اسرائيل !!!!. لكن عدم اتخاذه موقفا سياسيا بهذا الصدد لا يحدد بالضرورة درجة عطائه باعتبار ان الموقف السوفييتي لا يحدد من خلال التصريحات السياسية فحسب بل من خلال مقدار عطائه المادي ايضا الذي يمكن ان يساهم في خلق حقائق مادية يمكن ان تكون مقدمات لمرحلة جديدة وبالتالي لحقائق مادية جديدة . باعتبار ان الحقائق السياسية تتداعى من تلقاء نفسها اذا وضعنا لها مقدماتها المادية الصحيحة .

ان تنمية العامل الذاتي العربي ليكون قادرا على الاستفادة الكاملة من العطاء السوفييتي هو الذي يمكننا من ان نصل الى مرحلة جديدة نستطيع عندها ان نطالب السوفييت بموقف سياسي من مستوى جديد . فالاتحاد السوفييتي ، وهو يطالب بازالة آثار العدوان بكافة الاشكال بما فيها الاسلوب المسلح ، ويقدم الامكانات العسكرية والسياسية المطلوبة وخصوصا شبكة الدفاع عن العمق العربي ، انما كان يفتح الطريق امام العرب لتحقيق انتصار جزئي ، انتصار يجب ان لا يرى بشكله الميكانيكي بل بشكله الجدلي وانعكاسات هذا الانتصار على جملة الاوضاع في المنطقة ومنها اسرائيل الذي سيحولها الى موقع الدفاع .

ان هذا الموقف السوفييتي ينسجم مع القرارات الصادرة عن الامم المتحدة ولا تجعله يخل بالتزاماته الدولية كدولة كبرى . كما وان تحويل اسرائيل الى موقع الدفاع سيعني بالضرورة ان العرب ، وبالتالي السوفييت لا بد وان ينتقلوا الى موقع الهجوم سياسيا ولسوف يمكنهم من طرح مهام جديدة في ظل آفاق سياسية جديدة .

ان تصعيد العامل الذاتي للوصول الى هذا الوضع عسكريا وسياسيا ، سيجعل اسرائيل مجبرة على تنفيذ قرارات صادرة عن الامم المتحدة عفا عليها الزمن حسب تعبير قادة اسرائيل . وسيكون السوفييت وفي ظل سياسة الوفاق الدولي ، وفي ظل حرصهم على قرارات الامم المتحدة ، سيكون بامكانهم ، في ظل كل هذا فتح الدفاتر القديمة للامم المتحدة وسيبعثون مثلا قرار التقسيم لعام ١٩٤٧ .

ان الرؤية الاستراتيجية مهمة . ولكن الاهم هو تحديد المهام المرحلية التي تمكننا من ايجاد ارضية مشتركة مع الاصدقاء والحلفاء . وبالرغم من ان السوفييت ليسوا معنيين بقضية التحرير ولكنهم بالتأكيد معنيون مباشرة بأي واقع موضوعي جديد نخلقه .

حسين ابو النمل